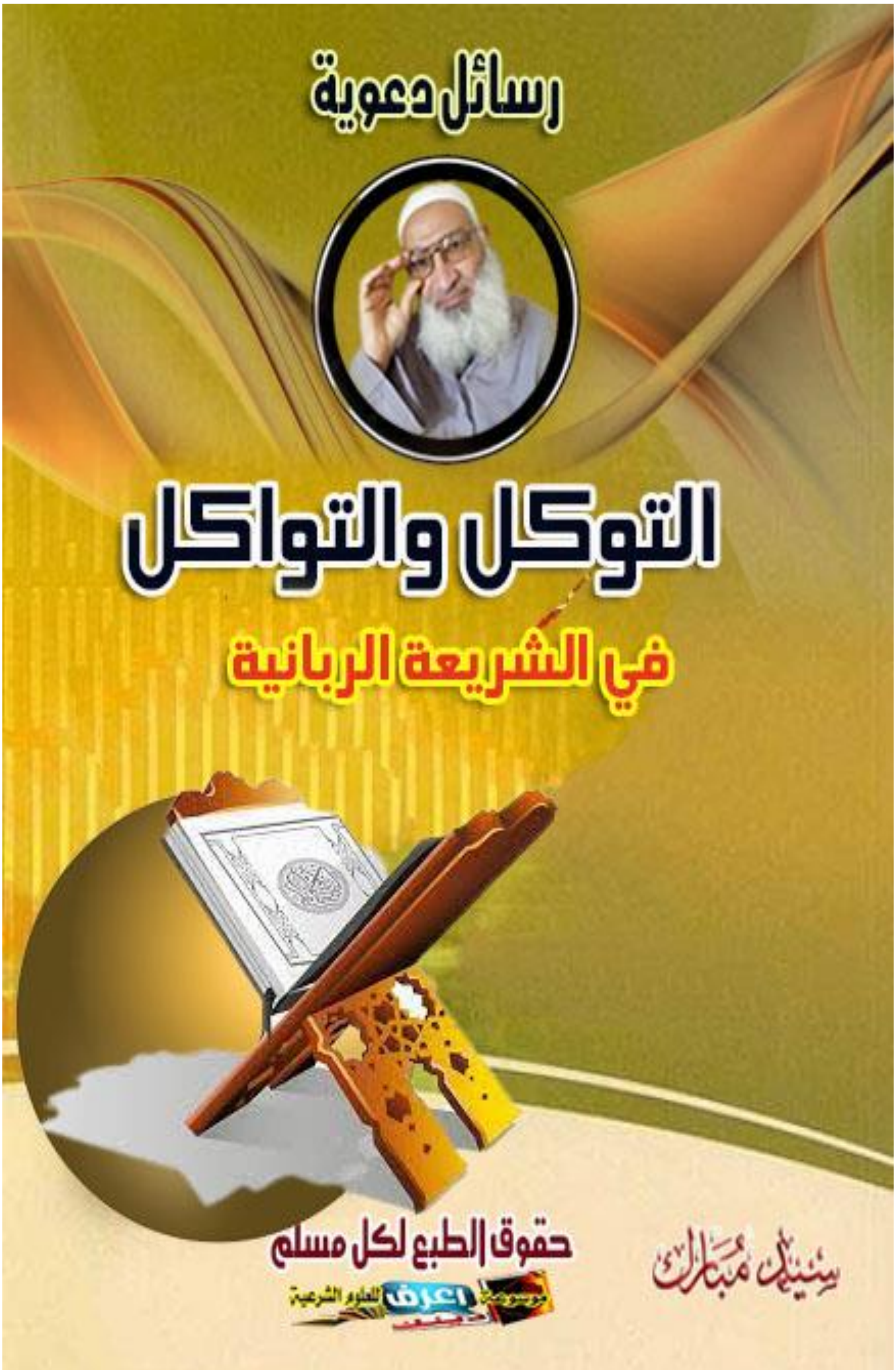

رسائل دعوية
التوكل والتواكل
في الشريعة الربانية
حقوق الطبع لكل مسلم
موسوعة اعرف للعلوم الشرعية
سيد مبارك



حقيقة التوكل والتواكل

الحمد لله رب العالمين أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

ان حقيقة التوكل ومفهومه السليم غلط في عقول كثيرًا من العباد إلا من عصمه الله تعالى . ولأن من الناس من أغتر برحمة الله وحسن الظن به دون عمل أو طاعة . ولأن منهم من ترك الأخذ بالأسباب وتواكل على رب الأرباب ، ولأن منهم من يتحجج بالقدر ليبرر به ما يرتكبه من معاصي وذنوب .. لهذا في السطور التالية توضح حقيقة التوكل على الله تعالى كما فهمها السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين لنقتدي بهم ونسير على دربهم ونتعلم من سيرتهم العطرة ما ينير بصائرنا ويقوي إيماننا وعزيمتنا لنتوكل على الله حق توكله

** معنى التوكل وحقيقته :-

التوكل كما قال الغزالي في الأحياء : مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه واعتمد عليه .. فمعنى التوكل هو اعتماد القلب على الوكيل وحده في كل شئ . انتهى

هذا والإنسان بطبيعته خلق ضعيفاً .. فربما تغلق أمامه كل الأبواب ويفقد الأمل في تحقيق آماله وأحلامه ، ويصاب قلبه بالإحباط واليأس ، ويصبح عاجزاً لا حول له ولا قوة . إلى من يلجأ ؟! فأي مخلوق مثله عاجز ويفتقر إلى الله . أذن ليس أمامه إلا

من بيده الأسباب والمسببات ، الذي آمره بين الكاف والنون .. أن أراد شيئاً فإنما يقول له " كن فيكون " هذه هي حقيقة التوكل على الله بين العبد وربه .. العبد الذليل يتضرع إلى الرب الجليل . العبد الفقير يسأل الرب الغني . العبد الضعيف يستغيث بالرب القوي .. فلا ملجأ له إلا إليه سبحانه فهو القادر على كل شئ .. هو وحده الذي يكشف السوء عن عباده ويفك الكرب عنهم ويفتح لهم أبواب الرزق ، ويشرح صدورهم إلى الحق والإيمان ، ومن يتوكل عليه فقد أفلح وفاز ، ومن لجأ وتوكل على غيره فقد خسر وخاب وحسبنا الله ونعم الوكيل . قال تعالى : { ومن يتوكل على الله فهو حسبه } (الطلاق ٣) وقال تعالى {وتوكل على الحي الذي لا يموت } (الفرقان ٥٨)

والمتوكل على الله حق توكله ليس له ثواب إلا الجنة وربما كان من الذين يدخلون الجنة بغير حساب كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح . عندما أخبر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين بأن هناك من أمته سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب أو عذاب فسألوه عنهم فقال : (هم الذين لا يرقون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) أخرجه البخاري (١١/ح٦٥٤١/ فتح) ومسلم (١/ إيمان /١٩٩/ح/٣٧٤) ومعنى يتطيرون : أي يتشأمون، والمقصود بعدم الرقى في الحديث الذي فيه شرك ودجل وبغير كلام الله واللسان العربي . كما إن الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو لنا أسوة حسنة أنه كان يتوكل على الله تعالى في كل أموره وأحواله .. فكان إذا أراد الخروج من المنزل يقول : (بسم الله توكلت على الله اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي) أخرجه أبو داود (٤/ح٥٠٩٤) وإسناده صحيح .

وهذا دعاء شامل يتوكل فيه الإنسان على خالقه من خروجه من المنزل حتى عودته من الضلال والزلل والظلم والجهل في يومه هذا . ثم إن أراد المرء أن ينام ويأوي إلى فراشة لا ينس أن يتوكل على الله بقلبه وروحه قائلاً ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوله عند النوم : (اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ،

ونبيك الذي أرسلت) أخرجه البخاري (١١/ح٦٣١٥/فتح) ومسلم (٤/ذكر/٢٠٨١-٢٠٨٢/ح٥٦)

ومن ثم.. فأن التوكل على حقيقته فريضة ربانية وعلى المرء أن يتوكل على الحي القيوم حق توكله فهو بيده مقادير كل شئ .... فإذا أصاب جسده الأمراض والابتلأات فليقل حسبي الله ونعم الوكيل . .. وإذا حلت به مصيبة في النفس أوالمال فليقل حسبي الله ونعم الوكيل . وهكذا.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :(حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) أخرجه البخاري (٨/ح٤٥٦٣/ فتح) .

**ذم التوكل على الأقدار :-

يقع المرء في المعاصي والذنوب ثم يعلق شروره وفساده على شماعة القضاء والقدر فيقول مثلاً : إن الله تعالى لو أراد لي الخير ما حدث ما حدث ، ولا يجاهد نفسه الأمارة بالسوء ولا يأخذ بأسباب الهداية وإنما هو قدر الله فيه فما حقيقة هذا القول ؟

نقول والله المستعان أن القدر مكتوب منذ الأزل ، والرزق مضمون منذ الأزل والعمر معلوم منذ الأزل ، وكل ما كان وما سيكون في علم الله منذ الأزل ومع ذلك فإن الله تعالى ربط الأسباب بالمسببات وجعل الإنسان مخير في كل أفعاله وأقواله من خير وشر ولن يخرج عمله وقوله عما قدر الله وقوعه منه ٬ ولنزيد الأمر توضيحاً وتبسيطاً ننقل ما قاله " ابن القيم " في كتابه (الداء والدواء) رداً على من يتحجج بالقدر دون إرادة منه أو اختيار قال : (هؤلاء مع فرط جهلهم وضللهم متناقضون فإن طرد مذهبهم يوجب تعطيل جميع الأسباب فيقال لأحدهم إن كان الشبع والري فقد قدر لك فلا بد من وقوعه أكلت أو لم تأكل ٬ وإن لم يقدر لم يقعا أكلت أو لم تأكل ،

وإن كان الولد قد قدر لك فلابد منه وطأت الزوجة أو الآمة أولم تطأ ، وإن لم يقدر ذلك لم يكن ، فلا حاجة إلى التزوج والتسري ، وهلم جرا . فهل يقول هذا عاقل أو أدمي ، بل الحيوان والبهيم مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته، فالحيوانات أعقل من هؤلاء الذين هم كالأنعام ' بل هم أضل سبيلاً) . انتهى

وروي أن الناس جاؤا بسارق من يتحججون بالقدر إلى عمر بن الخطاب . فقال : لما سرقت ؟ .. فقال له .. قضى الله علي ، فأمر بقطع يده وضرب اسواطاً على جسده ' فقيل لعمر في ذلك أي الضرب بعد القطع .. فقال : القطع للسرقة ، والضرب للكذب على الله تعالى . نعم لله درك يا عمر يا فاروق الأمة رضى الله عنك وأرضاك . إن أمثال هذا الرجل في زماننا يتحدثون مثله ، يزني الرجل ، ويرتشي أو يسرق أو يترك الصلاة .. الخ وإذا سألته لماذا لا تتوب إلى الله تعالى ؟ يقول لك ببلاهة هذا قدري (وربنا عايز كده) .. أو لو شاء الله ما فعلت !! أو ما بيدي حيلة .. إلي آخر هذا السيناريو من السفسطة الجدلية والهلوسة العقلية ولهؤلاء في ذلك دليل وما هو بدليل وإنما هو القصور العقلي في فهم المقصود واعني بذلك الحديث الصحيح الذي (حج آدم فيه موسى عليهما السلام) ونص الحديث كما جاء في البخاري وتختلف ألفاظه من رواية لأخرى إلا أن مضمون القصة واحد .. قال ﷺ :- (أحتج آدم موسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة . قال له آدم / يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ' أتلومني على أمر قدره الله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آ دم موسى . ثلاثاً) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه (١١/ ٦٦١٤ / فتح) والحديث كما تري لا يبرر ما يقولونه من أن القدر مسئول عما يرتكبونه من شرور ، وإنما يدل على أن موسى أراد تحميل آدم عليهما السلام مسئولية متاعب البشرية بطرده من الجنة بعد معصيته وأكله من الشجرة المحرمة ، ودافع آدم عليه السلام عن نفسه . كيف يعاقب على أمر قدره الله قبل خلقه ، ألم يقل تعالى : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } (البقرة ٣٠)

فكان في علم الله وقدره أن آدم عليه السلام سوف يهبط إلى الأرض فكيف يلوم على ذلك .. نعم لقد عصى الله باختياره وقد تاب إلى الله وأناب وتاب الله عليه ومن هنا حج آدم موسى وإليك أقوال أهل العلم لأزيد الأمر لك بياناً وتوضيحاً :-

** قال ابن كثير (في البداية والنهاية) (قال آدم لموسى : أنا لم أخرجكم وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على أكلي من الشجرة ، والذي رتب ذلك وقدره وكتبه قبل أن أخلق هو الله فأنت تلومني على أمر ليس له نسبه إلى أكثر ما أني نهيت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها ، وكون الإخراج مترتباً على ذلك ليس من فعلي ٬ فأنا لم أخرجكم ولا نفسي من الجنة ، وإنما هذا من قدرة الله وصنعه ٬ وله الحكمة في ذلك . فلهذا حج آدم موسى) . انتهى

** وقال الخطابي في " شرح الدرة " : (قد يحتسب الكثير من الناس أن معنى القدر والقضاء من الله هو الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم أن قوله ﷺ : (فحج آدم موسى) من هذا الوجه وليس كذلك ٬ وإنما معناه الأخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم ٬ وإنما كان موضع الحجة لآدم أنه تعالى قد علم من آدم أنه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك) انتهى

** التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب :

نعم ..المتوكل حقاً على الله يأخذ بالأسباب مع يقينه بأن الله تعالى قد قدر له الشيء قبل حصوله عليه وإن شاء هو سعى للحصول عليه وإن شاء تكاسل وتواكل وانتظر ليأتي إليه دون جهداً أو مشقة كما تنظر تنابلة السلطان .. ينتظروا أن تأتي الأقدار بأرزاقهم وهم ماكثون في ديارهم أو معتكفين في دور عبادتهم بلا سعي أو جهد فأين هؤلاء من قول الله تعالى : { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (الجمعة ١٠) وقال تعالى (فَامْشُوا فِي

مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور } (الملك ١٥) وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لأن يأخذ أحدكم أحُبلهُ ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبعها فكيف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) أخرجه البخاري (١٣/ ح ٧١٦٣ / فتح)

بل أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التوكل مع الأخذ بالأسباب كما حدث عند هجرته إلى المدينة .. فماذا حدث ؟ أولاً : أخذ معه رفيق ليصحبه وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه . ثانياً إعداد الزاد للسفر من طعام وشراب ربطته أسماء رضى الله عنها بنطاقها فسميت بذات النطاقين.

. ثالثاً : إعداد الراحلة للسفر الطويل مع دليل ليرشدهم للطريق . أقول إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يهاجر ويفعل كل ذلك على الرغم من مكانته عند الله تعالى التي لا يدانيه فيها أحد .. فماذا عنا نحن ؟ لقد أخذ بالأسباب .. ثم ماذا ؟ توكل على الله فله الأمر من قبل ومن بعد .. ولك أن ترى عظمة التوكل على الله بينما هو ﷺ وصاحبة في الغار والكفار يحيطون بهما أمام الغار .. (قال " أبو بكر " رضى الله عنه : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا . فقال : " ما ظنك يا أبا بكر لاثنين الله ثالثهما) أخرجه البخاري (٧/ح/٣٦٥٣/ فتح) ومسلم (٤/فضائل الصحابة /١٨٥٤ /ح١).

*ومثال أخر عن عظمة الإسلام في موضوع التوكل بالأخذ بالأسباب ما جاء في سور كثيرة في القرآن :- في سورة " النساء " لا يسقط الله الصلاة حتى في أرض المعركة ومعلوم أن الواقف بين يدي الله تعالى في رحمته ورعايته وفي مأمن ، ولكن الأمر هنا يختلف فلن يكون المسلمين في مأمن والعدو يتربص بهم فكان أمر الله للنبي بالصلاة مع أخذ أسباب الحيطة والحذر ، قال تعالى : (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ } (النساء ١٠٢) وفي سورة " الأنفال" يأمر الله تعالى المسلمين بالاستعداد لمحاربة عدوهم وإعداد العدة لذلك فقال تعالى : {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ }

(الأنفال ٦٠) وعشرات السورة بالأخذ بالأسباب في نفس الوقت يتوكل الإنسان على رب الأسباب ولا يعتقد لحظة أن الأسباب هي التي تحقق له رغباته وأحلامه فهذا شرك وإنما يتيقن بأن ذلك تم بتوفيق الله للعبد لحسن توكله . قال تعالى { ِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ } (آل عمران /١٥٩)

وكما يثيب الله تعالي العبد على توكله وأخذه بالأسباب فهو كذلك يحمله وزر عمله لأن الجزاء من جنس العمل والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة ، من ذلك على سبيل المثال :قال تعالى : { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (المائدة ٣٨) وقال تعالى : { وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ } (الكهف ٢٩)وقال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } (الأنبياء ٧٧).

** ومن الأحاديث الصحيحة على سبيل المثال : عن أنس رضى الله عنه قال : صلى الله عليه وسلم (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) أخرجه أبو داود (٤/ح٤٨٧٨) انظر الصحيحة (٥٣٣)

*وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) أخرجه البخاري (١/ح٣٤/فتح) ومسلم (١/إيمان /٧٨/ح١٠٦)

وأكتفي هنا بهذه الآيات والأحاديث الواضحة بأن الجزاء من جنس العمل .

** يقول ابن القيم في كتابه سابق الذكر:(وبالجملة فالقرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتيب الجزاء بالخير والشر والأحكام الكونية والأمرية على الأسباب ، بل ترتيب أحكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما عل الأسباب والأعمال . ثم قال رحمه الله :- ومن تفقه في هذه المسائلة وتأملها حق التأمل أنتفع بها غاية النفع ولم يتكل على القدر جهلاً منه وعجزاً وتفريغاً وإضاعة فيكون توكله عجزاً وعجزه

توكلاً .. بل الفقيه كل الفقه الذي يرد القدر بالقدر ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن للإنسان أن يعيش إلا بذلك فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر) . انتهى

** الاغترار برحمة الله وحسن الظن به :-

وهذا أمر على جانب عظيم من الخطورة ولا أغالي إن قلت أن هناك مئات الألوف إلا من عصمه الله يغتر برحمة الله وبحسن الظن به ويتواكل عليه ولا يجتهد في الطاعات ولا يحترز من المعاصي ، بل هو غارق فيها من رأسه إلى قدمه ومع ذلك يقول لك أنا قلبي أبيض والله غفور رحيم .. قلبه أبيض من لا يصلي .. قلبه أبيض من لا يصوم رمضان .. قلبه أبيض من يشرب الخمر ويلعب الميسر مالهم كيف يحكمون!! . قال تعالى : { وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ }

ولنا في رسول الله أسوة حسنة فقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي أمامه قال : دخلت أنا وعروة بن الزبير على عائشة فقالت (لو رأيتما رسول الله في مرض له ، وكانت عنده ستة دنانير أو سبعة دنانير فأمرني رسول الله أن أفرقها ، فشغلني وجع رسول الله حتى عافاه الله ثم سألني عنها فقال : ما فعلت ؟ أكنت فرقت الستة الدنانير ؟ فقلت لا والله لقد كان شغلني وجعك قالت : فدعا بها فوضعها في كفه فقال (ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده) وفي لفظ (ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه) أخرجه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة (١٠١٤) الله أكبر.. النبي صلى الله عليه وسلم عنده ستة دنانير لا يدري ظن الله به عندما يموت وهي عنده وقد غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه فماذا يكون حال الذي يسرق ويختلس ويأكل أموال الناس بالباطل.. وكيف يكون ظنه بربه ، وقد تساوى الحلال والحرام عنده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

يقول أبن القيم في " الداء والدواء " (فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لا أشترك في ذلك البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، ووليه وعدوه ، فما ينفع المجرم أسمائه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض للعنته ، ووقع في محارمه وانتهك حرمانه ، بل حسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع وبدل السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم أحسن الظن بعدها فهذا هو حسن الظن والأول غرور والله المستعان).

– وقال الحسن البصري رحمه الله : إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل ' وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبة أجمعين

تمت بحمد الله

مع تحيات
موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية
صفحة الشيخ في الموسوعة
https://www.facebook.com/profile.php?id=100064068851261
صفحة الشيخ في موقع نور
https://www.noor-book.com/?search_for=%D8%B3%D9%8A%D8%AF+%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D9%83